

مليون ريال ومثلها المانيا وانفتحت برازيل سبعة الف ريال وكل من بريطانيا والمكسيك والصين واليابان أكثر من خمس مئة الف ريال . ومباني المعرض غاية في الاتساع والفخامة فقصر الفنون طوله ٧٥٠ قدماً وعرضه ٥٢٥ قدماً ومثله قصر المعادن والعديد وقصر الحكومة بقبة العالية طوله ٨٠٠ قدم وعرضه ٢٦٠ قدماً . وقصر الآلات طوله ١٢٠٠ قدم وعرضه ٥٢٥ قدماً وكذلك قصر الصنائع المختلفة وقصر الصادرات طوله ١٣٠٠ قدم وعرضه ٥٥٩ قدماً وقصر الزراعة والآلات الزراعية طوله ١٦٠٠ قدم وعرضه ٥٠٠ قدم

والمعرض في ارض فسيحة مساحتها ١٢٠٠ فدان مملوثة بالغابات وفيها الآن نحو الف بناء الكبرى منها اثنا عشر بناء وهي تشغل ارضاً مساحتها ١٢٨ فدانا وقد نشرنا صور بعضها في هذه المقالة اظهاراً لما في ظاهرها من حسن الاتساق واحكام الصنعة وجمالها وسننشر غيرها في الاجزاء التالية وقد أرسلها الينا حضرة مكاتب المقطم الخاصصي في المعرض

مصير الانسان

يظن الجمهور ان معرفة مصير الانسان غير مقدورة لبني آدم الا اذا كان هذا المصير مرتبطاً بامور ماضية او حاضرة ارتباط المعلوم بالعللة وكانت هذه الامور معلومة . لكن اذا تعدد علينا ان نعرف ما يصير اليه كل انسان على حدته فقد لا يتعدر علينا ان نعرف ما يصير اليه النوع كله بالاجمال . مثال ذلك اذا اتيت بعربة مملوثة رملًا لتفرغها في دارك فانك لا تستطيع ان تضع يدك على حية من حبوب ذلك الرمل وتعين مصيرها وتقول الى اين تصل بعد وقوع الرمل من العربة . ولكن لا يصعب عليك ان تعلم كيف يكون شكل الرمل كانه ينوع عام بعد وقوعه فانه لا يقع منبسطاً في سطح مستو ولا مائلاً في شكل هرم ولا قائماً في شكل موشور او اسطوانة بل يكون اكمة هذلولية . تعلم ذلك ولا يتعدر عليك اثباته بالدليل الهندسي . وهكذا مصير نوع الانسان فان معرفته بوجه عام لا تتعدر على الناقد البصير

طالعنا بالامس مقالة في هذا الموضوع للمستروأس احد مشاهير الكتاب قال فيها ان الناس من حيث النظر الى مصيرهم فريقان الفريق الاول وهو الاكبر لا يهتم بهذا المصير مطلقاً لانه يقول ان المستقبل محبوب محجب الغيب فلا سبيل للوصول اليه وكأنه ينطق بلسان الشاعر

العربي القائل

واعلم علم اليوم والامس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عمي

والفريق الثاني اقل عددًا من الاول وهو في الغالب من الشبان اهل العصر الجديد بينهم
 يستقبل الانسان اكثر مما يهتم بماضيه ويبحث عن مصيره كله يبحث عما كان فيه . فالفريق
 الاول ينظر الى الحاضر من حيث علاقته بالماضي والفريق الثاني ينظر اليه من حيث علاقته
 بالمستقبل . الاول من اهل الذكر الذين لا تبجلي لهم الامور الا اذا فارتوها بما تفعلها وعرفوا
 ارتباطها بما يتذكرونه . والفريق الثاني من اهل النظر الذين يحسبون الحاضر اساسًا للمستقبل
 فلا يكفون به بل يبحثون دوامًا عما سبني عليه . الاول ينظر الى الحياة الحاضرة من حيث
 هي ثمرة الحياة الماضية والثاني ينظر اليها من حيث هي شجرة ثمر اثمارًا مقبلة . وكان عقل
 الفريق الاول عقل قاض يطبق احكامه على الشرائع التي تعلمها والقوانين التي اطّلع عليها ولا
 يقبل حكمًا ما لم يكن منطبقًا على قانون مقرر . واما عقل الفريق الثاني فكعقل المشرع الذي
 يسن القوانين وينقحها بالتغيير والزيادة والنقصان حسب ان سلطته فوق سلطة القانون لان
 تغييره في يده

ومن رأي المستر ونس ان العقل الاول عقل اهالي المشرق بنوع عام والعقل الثاني عقل
 اهالي المغرب وبخلاف ان يكون رأيه صحيحًا فانك اذا تمحّصت اكثر ما يكسبه ابناء الاقطار
 الشرقية تجده مفاخرة بالآباء والاجداد فيجد العرب والمصريين والفينيقيين . كأنهم نسوا
 قول من قال

وما الفخر بالعظم الرميم وانما
 فخر الذي يبغي الفخر بنفسه

والفرق واضح بين العقل القضائي والعقل التشريعي يقول الاول اتنا على ما نحن عليه
 لا موراقتضت ذلك رأينا آباءنا فيه ويهدمهم نحن مهتدون . ويقول الثاني اتنا على ما نحن
 عليه استمدادًا لا موراقتضت وتهدمنا لما ميسل ابناءنا اليه

الا ان جمهور الناس لا ينقطع للتفكير بالماضي وحده او بالمستقبل وحده بل يفكر كثيرًا
 بالماضي وقليلًا بالمستقبل او كثيرًا بالمستقبل وقليلًا بالماضي حسب استعداده . واضطراب
 الناس في احكامهم حادث في الغالب عن مزجهم امور الماضي بامور المستقبل او عدم تمييزهم
 بين الاول والثانية فترى الذين ينظرون الى الماضي يبحثون عن الاسباب والذين ينظرون الى
 المستقبل يبحثون عن النتائج والذين ينظرون الى الماضي والمستقبل معًا تتشوش عليهم الامور فيخلطون
 بين الاسباب والنتائج

كان الناس يقيسون الامور الادبية ببعض الاحكام والقواعد المقررة فيقولون مثلاً ان
 السرقة حرام لانه قيل في الوصايا العشر "لا تسرق" غير ناظرين الى عواقب السرقة في امور

الناس ولا يزال كثيرون يحسبون انه لا بد من الجري على هذه الاحكام كيفما كانت الحال لانها احكام اديية مقررّة . لكن قام البعض وانكروا انها احكام اديية واجبة الاتباع دائماً وحكوا بانّه لا بد من النظر الى النتائج ولان النتيجة تبرر الوساطة او تخطئها والجمهور مضطرب بين القولين يتبع هذا مرة وذلك اخرى ولكن اعتبار النتائج أخذ في الشيوع فقد قام فريق من الناس بمدّ نعمة الاعمال اديية على حسب النتائج التي تنتج عنها ويقول ان القوانين اديية وسائط لغايات فلا شأن لها لذاتها وانما شأنها في ما تؤدّي اليه من الغايات فاذا حسنت نتيجتها فهي واجبة الاتباع والا فلا . والجمهور بين بين يتمسك بالقوانين اديية نظراً مدعيها انها احكام مقررّة لا تتغير ويجري على ضدها عملاً اذا اقتضت مصلحة او مصلحة بلاده ذلك . مثاله ان تمدّ امة من الامم انها تفعل فعلاً ما وتؤكد وعدها بالتمسك او بغيره من وسائط التأكيّد ثم تجد ان الوفاء بهذا الوعد يضرّها او يغيرها من الامم او الجمهور من الناس وان الخسائر ينفعها وينفع غيرها ولا يضرّ احداً او ان نعمة أكثر من ضرر فتخاف وعدها وتحتسب بينها حاسبة ان النتيجة هي الغرض المقصود من الوعد والعهد ومصلحة النوع لتقتضي جلب النفع الاكبر بالسرر الاقل . هذا اذا كان وجه النفع من اخلاف الوعد ظاهراً ولكنه اذا لم يكن ظاهراً اختلف الناس في السبيل الذي يتبعونه فصاحب العقل القضائي يقضي باتباع السنة القديمة ويقول بعدم اخلاف الوعد مهما كانت النتيجة واما صاحب العقل التشريعي فلا يصعب عليه كسر السنة القديمة وسنّ اخرى بدلاً منها فيقول ان الامر بقاصدها والغاية تبرر الوساطة . والمقلب الذي لا رأي له يتبع الخطة الاولى تارة والثانية اخرى حسب العوامل التي تؤثر فيه

وقد يبلغ الاضطراب في الاحكام غاية في الغرابة مثال ذلك ما حدث في هذه الحرب الاخيرة وفي اكثر الحروب الحديثة فانه اذا خالف احد الخصمين عادة متبعة استخط الناس اجمع فاتهمه بالعدو واخيانته وانتهاك المحارم ولو كان ما فعله قاصراً على قتل سفير او تمزيق راية ولكن اذا نشبت نار الحرب واتخذ احد الخصمين في الآخر قتل منه في واقعة واحدة عشرة آلاف نفس اعظموا فعله ومجدّوه وضمروا له اكاليل الظفر غير ملتفتين الى ما ينتج من قتل عشرة آلاف نفس من المضاير لعشرة آلاف بيت . ولكن يقال بنوع عام ان الناس صاروا يقيسون الحروب والخصومات بما تأول اليه سيف مصالح الامم لا بعلاقتها بمصالح الانفراد ولا بارتباطها بالقوانين والمعاهدات الماضية كأن مستقبل الامم بنوع عام هو الغرض المقصود بالذات ونظر المسترولس في السبب الذي يحمل أكثر الناس على الالتفات الى الماضي وعدم

الانفئات الى المستقبل فقال انه حب السهولة والراحة فان الانفئات الى الماضي سهيل لا يدعو الى نظر كثير وتفكير طويل واما النظر الى المستقبل فمسير لا يسهل تناوله على كل واحد والقوى العقلية تجري في الطريق الذي تجد فيه المقاومة القليلة كالتقوس الطبيعية . والماضي معروف محقق واما المستقبل فمجهول يصعب تحقُّقه فاذا وقف الانسان بين سبيلين احدهما سهل نتيجته معلومة والآخر صعب نتيجته غير معلومة اختار الاول على الثاني لكن ذلك لا يصرفه عن الرغبة في معرفة المستقبل ولو بواسطة التنجيم والتمكهنين وقارئي أسرار الجبهة وامرار الكف اذا دقت النظر وجدت ان الناس يعلمون من امور الماضي اقل مما يدعون ومن امور المستقبل اكثر مما يظنون . فالخوف في الذاكرة من امور الماضي لا يعتمد عليه دائما لان الذاكرة لا تعي كل شيء ولا تحسن حفظ ما تميم بل تشوشه وتضيف اليه امورا ليست منه . ومهما اشتدت ثقة المرء بذاكرته فانه اذا قامها بما يحفظه في القرطاس وجد البون شامعا بين ما يحفظ فيها وما يحفظ فيه . ولقد امتحنا فعل الذاكرة مرارا فكنا نلوا خيرا على جماعة ثم نطلب منهم ان يكتبوا ما وعوه منه في ذاكرتهم فلا نجد اثنين يتفقان ثم ان جانبنا صغيرا من معارف الانسان مبني على مدركاته الذاتية والجانب الاكبر على ما قرأه او سمعه اي على مدركات غيره ولكن ما آفة الاخبار الأرواتها فقد يتلاعب الرواة في الاخبار لغرض واذا فسدوا الصدق في الرواية فان الذاكرة تخونهم كما تقدم ولا تحفظ الا ما نشاء وكما نشاء ولذلك يقع التضارب في الاخبار الى حد تضع معه الحقائق حتى اذا بعد السند وكثر التواتر كثر الاختلاف وانقلبت الاخبار عن صورتها الاصلية الى صور اخرى مضادة لها وصار الانباء بامور المستقبل اصح من الانباء بامور الماضي مادام الماضي معتقدا على الاحاديث والاسانيد . ولكن اذا كان للماضي شواهد عيانية ثابتة وموصوت شواهد عمياء فدلالتها يقينية مثل الاستدلال على سكان الارض في العصور الجيولوجية ومثل الاستدلال على احوال البابليين والاشوريين والمصريين من آثارهم المنقوشة في الصخور . وانا لنعلم الآن من تاريخ الارض قبل ظهور الانسان عليها اكثر مما نعلم من تاريخها منذ ظهوره الى الآن ونعلم من احوال الامم الغابرة قبل زمن التاريخ اكثر مما نعلم من احوال الامم الذين قاموا في زمن التاريخ بل اكثر مما نعلم من تاريخ آبائنا واجدادنا الى الف عام . وهذا العلم لم يحدث بالاهاام والمكاشفة بل بالبحث العلمي الدقيق . بالبحث في الصخور والتلال والركام والاتقاض . بالبحث والتنقيب والقياس والتقدير والانقاد والتحجيص من غير معارف سابقة ولا قواعد مقررة بل في وجه عقائد مناقضة واحكام ثقيد العقل وتمنع البحث

فان كان البحث عن الماضي البعيد الذي حجبته عنا ظلمة العصور الغابرة تكفل بالنجاح فكيف لا ينجح البحث عن الامور الآتية اذا جرى على الاساليب العلمية . وقد فعل الانسان شيئاً من ذلك فانباً هكلي مثلاً بان توجد آثار الفرس ويكون في قوائم اصابع كما في قوائم غيره من الحيوانات الفقرية فصدقت نبوءته ووجدت في طبقات الارض آثار خيل في قوائمها اصبعان او ثلاث او اربع او خمس . وانباً مكسول بان النور والحرارة والكهربائية شيء واحد يتحول كل ثمنها الى الآخر فصح ما انباً به . وانباً لبعض الكيماويين بوجود عناصر غير معروفة وعينوا ثقلها النوعي والجوهري وبعض خواصها الكيماوية فكشفت تلك العناصر ووجدت كما انباوا عنها . هذا والعلماء غير معتمدين بالبحث عن المستقبل ولا حاسبين انه يمكن الوصول الى معرفته فكيف لو اهتم كبارهم بذلك وانضوا اليه عزيمتهم

نعود الآن الى النظر في مصير الانسان على هذه البسيطة فمن الامور المقررة علمًا ان حرارة الشمس ستفقد يوماً ما فتبرد الارض ولا تعود صالحة لمعيشة الانسان فينقرض نوعه منها ولكن ذلك لا يحدث قبل الوف بل ملايين كثيرة من السنين والانسان ابن الامس لا يطعم بالانباة عمّا يصير اليه بعد هذا العدد العديدي من السنين لاسباب وان سيره غير جارٍ على نسق واحد بل هو يتقدم الآن في سنة أكثر مما كان يتقدم قبلًا في مئة سنة

ومن الامور المقررة ايضًا ان عوالم كثيرة مثل عالمنا واروضاً مثل ارضنا تصطدم وتتحرق من وقت الى آخر فيجتمل ان يصيب ارضنا ما اصابها وهذا الاحتمال بعيد ولكن لا شيء يثني حدوثه وليس في طاقة الانسان الانباة بزمنه فلا يتعب بالبحث عنه

ومنها ان انواعاً مختلفة من الحيوان عاشت على وجه الارض في العصور الغابرة وملاحتها ثم انقرضت منها اما بتغير الفصول او باسباب اخرى غير معروفة فلا شيء يمنع ان يحلّ بنوع الانسان ما حلّ به او يتأبى مرض وبائي يقرضه قرصاً ولكن النظر في احوال المخلوقات من اول حيوان ظهر منها وخرج من حمايتها تتعجب ويتلوى ويجاهد في طلب المعيشة والنمو والارتقاء الى الانسان ابن القرن العشرين الذي فاق كل من تقدمه بهراحل كثيرة يحدو بنا الى الظن بل الى الترجيح او التأكيد ان سلسلة هذا الارتقاء لا تنقطع وانه سائر سيراً مستمراً على سلسلة متزايدة والأ فلا معنى لهذا الوجود . واذا كان الامر كذلك فمصير الانسان الى حالة ارقى من حالته الحاضرة ودلائل الحال تؤيد ذلك . وسيهتدي الناس الى ما يزيد راحتهم ورفاهتهم وينعش الشورر والمناسد والالام . هذه هي الحالة العامة التي يصير اليها نوع الانسان